

أضواء البيان

@ 20 @ وإيمانهم وضراعتهم إلى { فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنْزَلْنِي مِنْ سَمَاءٍ بِرَأْسٍ لَكَ مِنْ السَّمَاءِ الْمَلَكُ مُرْدَفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ إِذْ يَغْشَىكُمْ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ بِكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأُصُولَ قَدْ أَمَّا } . . .
فما جعل { الإمداد بالملائكة إلا لتطمئن به قلوبهم ، وما غشاهم النعاس إلا أمانة منه ، وتم كل ذلك بما ربط على قلوبهم ، فقاوموا بقلبتهم قوى الشر على كثرتهم ، وتم النصر من عند { بمدد من { ، كما ربط على قلوب أهل الكهف : { وَرَبَّطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَبْدَعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَّا هَاءَ لَقَدْ قَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا } . . .

هذه آثار الطمأنينة والسكينة والربط على القلوب المدلول عليه بمفهوم المخالفة من قوله تعالى : { فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ } ، وقد جمع { تعالى الأمرين المنطوق والمفهوم في قوله تعالى : { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْزَلْنِي مِنْ سَمَاءٍ بِرَأْسٍ لَكَ مِنْ السَّمَاءِ الْمَلَكُ مُرْدَفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } فنص على الطمأنينة بالثبوت في قوله : { فَتَثَبَّتُوا الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ } ، ونص على الرعب في قوله : { سَأُلْقِيَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ } فكانت الطمأنينة تثبिताً للمؤمنين ، والرعب زلزلة للكافرين . . .

وقد جاء في الحديث أن جبريل عليه السلام . لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتوجه إلى بني قريظة ، قال : (إني متقدمكم لأزلزل بهم الأقدام) ، ومما يدل على أسباب هذه الطمأنينة في هذه المواقف قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } . . .
فذكر { تعالى أربعة أسباب للطمأنينة : .

الأولى : الثبات ، وقد دل عليها قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا } كَأَنَّهُمْ بُذِّيَانُ مَرُوضُونَ .